التعاون فى هولنـــدا ☆

ملخص محاضرة ألقاها الدكتور ث . ج . فراتيما فى بورما

تلعب الحركة التعاونية فى هولندا دورا كبيرا فى النهوض بالزراعة ، ورفع مستوى المعيشة والصحة العامة والثقافة بين الزراع ، وأول نشاط تعـــاونى طرقته الحركة فى هذه البلاد كان فى ميدان تربية الدواجن ، فمنذ خمسة وسبعين عاما كان الزراع الهولنديون لا يولون تربية الدواجن ، وخاصة ما يتعلق بانتاج البيض ، عناية كبيرة فكان المتوسط السنوى لانتاج الدجاجة بين ٤٠ و ٥٠ بيضة ، وكان الزراع يبيعون انتاجهم للتجار المحليين الذين كانوا يستغلونهم أسوأ استغلال ، ولا يدفعون أثمانا مجزية وذلك لدرايتهم الواسعة بالسوق وأسعاره ، وكان التجار لا يلتفتون إلى الصفات الجيدة فى البيض إلا عند قلة الطلب عليه مما حدا بالزراع ، وخاصة بعيدى النظر منهم ، إلى الوصول إلى طريقة تخلصهم من جشع التجار وتحكمهم فيهم ، فقاموا بانشاء أول جمعية من هذا النوع ، وكانت هى أول جمعية تعاونية فى هولندا ، وأهم اغراضها ان يبيع الزراع بيضهم عن طريقها بغض النظر عن السعر الذى يعرضه التجار المحليون عليهم ، فيسوق البيض تعاونيا ، ثم يوزع الناتج من بيع البيض بعد خصم المصاريف على الزراع ويكون التوزيع على أساس الكميات الموردة وصفاتها ، وتلعب الصفات دورا أساسيا الآن فى تسويق البيض مهما كانت ظروف السوق وحالته ، وقد لاقت هـذه الجمعية صعوبات كثيرة من منافسة التجار ومحاربتهم لها إلا أنها تغلبت عليها ونجحت نجاحا باهرا بعد جهاد طويل خصوصا أن القائمين بأمرها أصبحوا ذوى دراية عمليـة فى تجارة البيض بعـــد دراسة طرق الخزن فى الثلاجات ، وتعرف متوسط أسعار السوق ، والبيع بالجملة ، وإيجاد أسواق جديدة ، ثم أنشئت جمعيات أخرى فى كثير من القرى لنفس الغرض ، وأنشئت بعد ذلك اتحادات اقليميـة وأخرى عامة لتنظيم عمال هذه الجمعيات ، ويسوق الآن أكثر من ثلثى إنتاج المملكة من البيض تعاونيا .

☆ لخصها الأستاذ محمد محمد العبد ، الاخصائى الاول بقسم السكرتيرية الفنية والمشروعات بوزارة الزراعة .

وترمى السياسة التعاونية القومية إلى بيع الفائض من الاستهلاك المحلى إلى الممالك المختلفة .

ولا تهدف هذه الجمعيات إلى التسويق فقط بل إلى تعليم الزراع طرق انتخاب السلالات الممتازة ذات القدرة الانتاجية العالية ، وحصر التربية على هذه السلالات فقط ، والعمل باستمرار على رفع القدرة الإنتاجية ، وتحسين تغذية الدواجن ، وذلك بمدها بالأغذية الغنية بالبروتين الذى يلعب دورا أساسيا فى انتاج البيض ، وتعليم الزراع كل ما يتعلق بتربية الدواجن من اتباع طرق التربية الحديثة ، وزيادة الانتاج ، وإنشاء المساكن الصحية ووقايتها من الأمراض الأمر الذى لم يتيسر إلا باتباع الطرق التعاونية ، والذى أدى لرفع المتوسط السنوي لإنتاج الدجاجة إلى ١٧٠ بيضة ، وإلى مضاعفة الانتاج الكلى للمملكة عما كان عليه منذ ٧٥ سنة ، وأصبحت هولندا الآن من أكبر الدول المصدرة للبيض بعد أن كانت مستوردة .

وتقوم الجمعيات التعاونية فى هولندا لا بتسويق البيض فقط ، ولكن بتسويق جميع المنتجات الزراعية . فهناك جمعيات تعاونية لتسويق البطاطس والماشية والخنازير والبذور والخضر وغير ذلك من المنتجات ، وفرص النجاح تكون كبيرة فى المناطق التى يحتاج الانتاج فيها إلى رفع وتحسين صفات المحصول المنتج ، وحيث تكون منافسة التجار قليلة . ولا يعزى النجاح فى تسويق المنتجات إلى الجمعيات فقط ، بل هناك عوامل أخرى كثيرة إلا أن الفضل الأكبر فى ذلك يرجع إلى هذه الجمعيات فى الوصول إلى تلك النتائج الباهرة .

وهناك نوع آخر من الجمعيات الغرض منه مد الزراع بما يحتاجون إليه من المخصبات التى يستعملونها بكميات وافرة ، والتى كانوا يشترونها من التجار المحليين ، وقد قاسوا الكثير بسبب عدم جـــودة الأصناف وصلاحيتها ، فقاموا بإنشاء هذه الجمعيات لشراء هذه المخصبات ، فيحصلون على أنواع مضمونة ، فضلا عن رخص ثمنها نتيجة لشرائها بأسعار الجملة ، ولا يقتصر عمل هذه الجمعيات على المخصبات ، ولكنها تمد أعضاءها كذلك بمواد العلف المستورد منها كالذرة ، والمنتج محليا كالكسب .

ويوجد نوع ثالث من الجمعيات يمد أعضاءه بالآلات اليدوية والميكانيكية التى يحتاجون اليها فى أعمالهم ، أما حاجات الزراع المنزلية فيحصلون عليها من الجمعيات

الاستهلاكية « المنزلية » ، وهى كجمعيات التسويق تماما ، فتجد منها الجمعيات المحلية ، والاتحادات الإقليمية التى تقوم بعمليات الجملة لهذه الجمعيات ، وهـــذه الاتحادات بدورها تضمها منظمة تعاونية عامة ينتظم فى عضويتها جميع جمعيات المملكة ، وتقوم بعمليات الاستيراد والتصدير ، ويبلغ رقم معاملات جمعيـــات التوريد والشراء نصف رقم معاملات المملكة كلها بالنسبة للمنتجات والسلع التى تتعامل فيها فهى جمعيات هامة جداً فى الاقتصاد القومى للبلاد.

أما جمعيات التسليف فيوجد منها فى كل قرية بنك للتسليف التعـــاونى ينتظم فى عضوية كل بنك منها حوالى ٢٠٠ عضو بمسئولية غير محدودة، وهى بنوك مضمونة موثوق فيها إلى درجة كبيرة ، ولذلك فهى تغرى أكثر الناس على وضع أموالهم فيها ، ومن هذه الأموال يقوم مجلس إدارة البنك بمنح القروض للزراع الذين هم فى احتياج اليها ويستحقونها فعلا ، وليس المقصود من كلمة يستحقونها أن تعطى القروض للزراع الذين حالتهم المالية حسنة ، لأن الغرض الأساسى لهذه المنظمات هو مساعدة الزراع المتوسطين والفقراء ، بل المقصود منها هو الاطمئنان إلى صرف هذه القروض فيما اقترضت من أجله فعلا ، ولما كان مجلس إدارة كل جمعية تعاونية للتسليف « بنك » على علم عام بحال كل مزارع فى منطقة أعمال الجمعية ، فهو يعطى القروض لكل مزارع بالنسبة لحالته وقدرته فى عمله طبقا للتعليمات الدقيقة التى يتلقاها من الاتحادات الاقليمية والاتحاد العام للمملكة ، وهذه البنوك منظمة تنظيما دقيقا وتخضع باختيارها للاتحادات الاقليمية والاتحاد العام ، ويرجع السبب الأساسى لنجاح الجمعيات التعاونية فى هولندا إلى الاشراف الدقيق ، وإحكام الرقابة على مراجعة حساباتها ، وتقوم بذلك مؤسسات تعاونية خاصة لها من القوة ، ما يجبر الجمعيات التى تنهج سياسة خاطئة على الرجوع عن هذه السياسة .

أما الجمعيات التعاونية لتجهيز المنتجات فأهمها المصانع التعاونية للألبان، اذ الفلاح الهولندى متخصص فى الالبان ، ويستهلك الشعب كميات كبيرة من اللبن سواء فى ذلك الاطفال والبالغون، لما يعلمونه عن قيمته الغذائية العالية، وتعتبر هولندا أكبر دولة مصدرة فى العالم للبن المركز ، وثانى دولة مصدرة للجبن ، فضلا عن الكميات الكبيرة من الزبد

التى تصدرها ، ولذلك يعتبر الدخل الناتج من اللبن ذا أهمية عظمى لأغلب الزراع ، ويحول اللبن إلى منتجاته فى مصانع الالبان التى كان يقيمها التجار لحسابهم فى مبدأ الامر ، ولذلك كان مركز الزراع دقيقا ، إذ يجب أن يباع اللبن فى الحال لأن مصاريف نقله باهظة فضلا عن تعرضه للتلف أثناء النقل ، لذلك كان التجار وأصحاب المصانع يتبعون سياسة شراء اللبن من المزارع القريبة جدا من المصانع ، وكانوا لا يدفعون أسعار مجزية تتمشى مع خواص اللبن وصفاته ، ولذلك قام الزراع بانشاء مصانع الالبان التعاونية لتخلصهم من تحكم التجار فيهم ، وتقوم هذه المصانع ببيع المنتجات الناتجة من ألبان أعضائها بالجملة ، وتوزع الثمن بعد خصم مصاريف الانتاج والتجهيز على الاعضاء بالنسبة لكمية وخواص اللبن المورد ، ولو أن هذه المصانع قد تعرضت لتجارب خطيرة ، إلا أنها نجحت فى أعمالها نجاحا باهرا ، وليس أدل على ذلك من أن هذه المصانع تقوم بتجهيز ٣/٤ الالبان المنتجة فى كل المملكة ، كما أن ٢/٣ هذه المصانع قد قامت فيما بينها بتكوين جمعية عامة لتسويق وتصدير هذه المنتجات .

وتتبع سياسة المصانع التعاونية بالنسبة لكثير من المنتجات : منها سكر البنجر فإن ٦٠ ٪ من المصانع الخاصة به تعاونية أكبرها يتعامل فى ١٠ مليون دولار ، وهناك كذلك المصانع التعاونية الخاصة بدقيق البطاطس ، وهى سلعة هامة للتصدير و ٩٠ ٪ من انتاج البلاد ينتج تعاونيا .

وقد أنشئت منذ بضع سنين جمعيات تعاونية للرى تضم كل منها من ٢٠ — ٣٠ عضوا أو أكثر ، وتقرر مجلس ادارة الجمعية واجبات كل عضو بالنسبة لما يجب عليه أن يعمله لما فيه صالح باقى الأعضاء ، والغرض من هذه الجمعيات تنظيم توزيع مياه الرى فى المزارع ، ولو أن الحكومة لا تتدخل فى أعمال الجمعيات بصفة عامة ، إلا أنها فيما يتعلق بهذا النوع الخاص من الجمعيات ، فان القانون يمكن الغالبية من اجبار الأقلية على ما فيه صالح الجميع ، أى أن القانون يمكن مجلس الادارة من اجبار العضو المعارض على أن ينفذ سياسته ، كما تشرف الحكومة على مجالس الادارة لمنعها من اساءة السلطة المخولة لها .

ونظراً لارتفاع الاجور بعد الحرب وصعوبة الحصول على العمال ولرغبة صغار

الزراع فى الانتفاع باستعمال الجرارات وعدم تمكن كل منهم من الحصول على جرار بمفرده ، قاموا بتكوين جمعيات خاصة باستعمال الآلات الميكانيكية ولو أن برنامج هذا النوع يبدو لأول وهلة سهل التنفيذ إلا أنه تعترضه بعض العقبات أهمها أن مصالح الأعضاء تتعارض مع بعضها لرغبة كل منهم فى استعمال الجرار فى نفس اليوم وهو مالا يمكن تنفيذه ويتغلب على هذه الصعوبة برسم برنامج ثابت ينفذه مجلس الادارة بدقة مهما كانت الظروف ، أما الصعوبة الثانية فتتعلق بادارة الجرارات واصلاحها وصيانتها. وتمنح الحكومة اعانات مالية للجمعيات من هذا النوع بشرط أن يكون مفتشوها من صغار الزراع ، وأن تقوم بمسك دفاترها طبقا لبرنامج تضعه الحكومة .

وهناك أنواع أخرى كثيرة من الجمعيات منها جمعيات التأمين والمصانع التعاونية لتجهيز الكتان ، وما هو خاص بتربية وتحسين الماشية ، والجمعيات الخاصة بمساعدة الجمعيات فى امساك دفاترها وخاصة فيما يتعلق بمشاكل الضرائب ،ولا توجد فى هولندا جمعيات تعاونية لادارة المزارع أو الأراضى بطريقة جماعية ، كما هو الحال فى فلسطين وفى روسيا .

أما الجمعيات المنزلية فتتعامل فيما يوازى ١٠٪ من جميع الحاجيات المنزلية الأساسية فى البلاد ، ولكل جمعية منها عدة محلات فى كل قرية تبيع للأعضاء وغيرهم ، وتوزع الأرباح على الأعضاء فقط بالنسبة لمشتريات كل عضو فى آخر السنة ،وتكون الجمعيات المحلية فيما بينها جمعيات مركزية للقيام بعمليات الجملة ، وهذه تندمج بدورها فى جمعية عامة للقيام بعمليات الاستيراد وبعض الصناعات التعاونية الخاصة .

والجمعيات التعاونية للصحة القروية نوع من الجمعيات مختلف عن الأنواع السابقة تماما ، ويرجع السبب فى نشأتها إلى أن الزراع لم تكن لديهم أية فكرة عن الشروط الصحية ، اللهم إلا بعض العادات المتوارثة عن الآباء ، فكانت الوجبات الغذائية فيما يتعلق بالأطفال غير متوازنة وفقيرة فى الفيتامينات حتى تسببت عن ذلك أمراض كثيرة لقلة الأطباء فى هذه الأيام ، قاموا بتكوين هذه الجمعيات للعناية بصحة الأعضاء ومقاومة الأمراض ، وهى بسيطة فى تكوينها ، وفى تنفيذ سياستها، فهى عبارة عن اتحاد عملى بين سكان القرية جميعا ،

يقوم مجلس إدارته بتقسيم السكان إلى طبقات ثلاث بالنسبة لمقدرة كل طبقة على الدفع ويدفع ذوو الدخل المرتفع خمسة شلنات هولندية فى السنة ، وذوو الدخل المتوسط ٢,٨ شلن فى السنة ، أما صغار الدخل فيدفعون شلناً واحدا فى السنة وتخصص هذه المبالغ لمواجهة أجور الممرضات ولشراء الأدوية والأعضاء لهم الحق فى استدعاء الممرضات واستعمال الأدوية دون دفع أى تكاليف أخرى غير الاشتراك المدفوع ، والممرضة صديقة لجميع الأعضاء تقوم مقام الطبيب فى القرية ، وهى كمرشد صحى تقوم ببعض الأعمال الاجتماعية والثقافية فتبين للأمهات وربات المنازل فائدة الوجبات الغذائية المتوازنة وكيفية معاملة الأطفال ووقايتهم من الأمراض المعدية ، وهذه الأعمال تحتاج إلى صبر وشخصية قوية وروح اجتماعية مثالية ، وقد كانت لهذا النوع نتائج باهرة ، فقد قلت نسبة الوفيات وخاصة بين الأطفال عنها فى أى مملكة من دول العالم والتعليم وإقامة المنازل الصحية وإدخال المياه الجارية فى المزارع وان كان لها أثر كبير فى تقدم الصحة العامة لجمهور الزراع إلا أن هذه الجمعيات قامت بدور أساسى فى هذه الناحية .

وتنتشر فى هولندا الآن الجمعيات التعاونية لإقامة المنازل لأعضائها ، وترجع أهميتها إلى أن إقامة المساكن بطريقة تعاونية يؤدي إلى شراء مواد البناء بأسعار الجملة وبالتالى يقلل تكاليف البناء ، فضلا عما يؤدى اليه من إقامة مبان صحية جميلة ، وليس معنى ذلك أن كل المبانى التعاونية من طراز واحد ، بل تقام طبقاً لرغبات الأفراد .

من كل ما تقدم نلمس مـــدى النجاح الكبير الذى أحرزته الحركة التعاونية فى الاقتصاد القومى الهولندى . وقد تبادر إلى الاذهان هذا السؤال . لماذا يقبل الزراع الهولنديون على تكوين الجمعيات التعاونية ، ولماذا نجحت هذه الجمعيات ؟

فالواقع ان الفلاح الهولندى يميل إلى الملكية الفردية لحد كبير ، ولا يرجع إقباله على الاشتراك فى الجمعيات إلى الرغبة في إقامة كومنولث تعاونى أو نتيجة لفلسفة أو مثل خاصة ، وانما يرجع إلى أنهم يريدون أن يكونوا زراعا وألا يكونوا فى نفس الوقت تجارا أو صناعا أو من أصحاب البنوك أو من رجال التأمين ، فهم لا يقيمون هذه الجمعيات إلا لتحسين مراكزهم الاقتصادية وحالتهم الاجتماعية . ولم يكن كثير من الزراع فى مبدأ الأمر متحمسين لفكرة الجمعيات التعاونية ، ولا متفائلين منها ، بل لم تكن لدى

أكثرهم فكرة واضحة صحيحة عن التعاون وآثاره ، ولكنهم رغم ذلك انضموا إلى عضوية الجمعيات ، لأنهم فى هذا الوقت كانوا فى حالة تعسة بسبب تحكم التجار فيهم وغشهم فى أكثر الأوقات ، ولم يكن أمامهم أى مخرج إلا الانضمام إلى هذه الجمعيات .

وتعتمد الحركة التعاونية فى نجاحها على برنامج واسع من الدعاية وتعليم الزراع ، وذلك بمحادثتهم واقناعهم عن طريق الاجتماعات والصحف والمجلات الأسبوعية التى تحتوى على موضوعات ثقافية وفنية وتجارية واقتصادية فى مختلف الشئون التعاونية وكذلك خلال اجتماعات الجمعيات العمومية للمنظمات التعاونية . وتنظم دراسات خاصة لمجموعات من أعضاء مجالس إدارة الجمعيات وأخرى لأبناء الزراع الذين تعتمد عليهم الحركة فى المستقبل ليتشربوا الروح التعاونية ويتحمسوا لها ، وليعرفوا تاريخ الحركة والجهود الشاقة التى بذلها آباؤهم فى سبيل تحقيق مثلهم العليا التعاونية .

أما من ناحية تمويل الجمعيات فالقاعدة العامة فى تمويل الجمعيات التعاونية الهولندية هو أن رأس مالها لا يتكون من أسهم بل تعتمد بصفة أساسية على مسئولية أعضائها غير المحدودة لصالح جميعهم بجانب مبالغ صغيرة يدفعونها عند تأسيس الجمعية كل عضو بالنسبة لمقدرته المالية . وهذه المبالغ الصغيرة مع المسئولية غير المحدودة هى القاعدة فى منح القروض . وبعد سنة من تكوين الجمعية يكون هناك ربح ، ولكن هذا الربح لا يوزع على الأعضاء بالنسبة لما ورده كل عضو ، كما لا تدفع فائدة على رأس المال الصغير المدفوع ، بل يضاف كل ذلك أو على الأقل الجزء الأكبر منه لتكوين رأس المال الاحتياطى ، وذلك لزيادة رأس المال العامل ، ويظل الأمر كذلك حتى يصبح مركز الجمعية قويا فتبدأ فى توزيع الأرباح ، ولما يعلمه التعاونيون من ضرورة قوة المركز المالى للجمعيات ولمواجهة العسر المالى ولتقلبات غير منتظرة فى الأسواق تقوم مجالس الادارة بتدبير سياسة دقيقة وحازمة بالنسبة لتمويل الجمعيات . ومن أهم الأمور بالنسبة لتمويل أعمال الاتحادات الاقليمية مراجعة الحسابات ، فلا يجب أن يكون لكل جمعية مراجع حسابات خاص ، بل المشرف على مراجعة وتنظيم حسابات الجمعيات هى الاتحادات الاقليمية أو مؤسسات مركزية خاصة لمراجعة الحسابات الخاصة بالجمعيات المحلية .

والتعاون فى هولندا اختيارى، والسلطة العليا فى الجمعية هى جمعيتها العمومية ، فهى التى تقوم بانتخاب أعضاء مجلس الادارة سنويا، وهؤلاء يمكن إعادة انتخابهم، أما بالنسبة للتصويت فإن لكل عضو صوتا واحدا إلا فى بعض الحالات كما فى حالة المصانع التعاونية الكبيرة ، إذ وجد أن هذا النظام لا يفى بالغرض ، بل يكون عدد الأصوات متمشيا مع رقم المعاملات الخاص بالجمعية المصوتة .

وتنص اللوائح الداخلية والنظم التعاونية للجمعيات على جواز حضور بعض المستشارين الفنيين اجتماعات مجلس الإدارة للاستعانة برأيهم . أما أعضاء مجالس إدارة الاتحادات الاقليمية فينتخبون من بين أعضاء مجالس إدارات الجمعيات المحلية .

وعند البت فى إنشاء الجمعيات التعاونية فى هولنده كان عبء العمل كله ملقى على عاتق أعضاء مجلس الادارة وخاصة الرئيس والسكرتير دون أن يتناول أحدهم أجراً نظير ذلك ، لانهم كانوا يؤمنون بأن ذلك واجب عليهم لمنفعة صغار الزراع والفقراء منهم ، ولا زالت تعم هولندا اليوم روح اجتماعية ومثالية تعاونية عالية أدت إلى أحسن النتائج فى الحركة . ويفضلون هناك جمعية عدد أعضائها ١٠٠ فقط مشبعين بالروح التعاونية الحقة عن جمعية عدد أعضائها ١٠٠٠ غير مشبعين بتلك الروح، لأن مثل هؤلاء الأعضاء خطرون على جمعياتهم ، وخاصة إذا كانت حديثة ولم تصبح من القوة بحيث يمكنها مجابهة الصعاب التى تقابلها . فى حالة مصانع سكر البنجر التعاونية مثلا فإن هذه الصناعة تحتاج إلى مصانع خاصة دقيقة وتجارب فنية تتكلف مبالغ طائلة ، وقد لاقى أعضاء هذه المصانع عند بدء تكوينها كثيرا من الصعاب والمشاكل المتعددة التى تغلبوا عليها بفضل سياسة الصبر والجهاد الطويل الأمد لإيمانهم بالمثل العليا للتعاون .